بعد حضوره اللقاء السنوى لمجلس العلاقات المصرية / الأمريكية:

د. أحمد زويل: (١)

- مكتبة الإسكندرية تستعيد دورا تاريخيا وحضاريا كبيرا لمصر.
- لا أوافق على ما قررته الإدارة الأمريكية الجديدة من إلغاء لاتفاقية كيوتو!
- صراع الحضارات هو الطريق المؤكد إلى التعصب والتطرف، والحل - لابد - اقتصادى.
- نحن نعيش «اللانظام» العالمى الجديد!
- إذا دخلت أمريكا إلى مشروع الدرع المضاد للصواريخ فسوف تفتح الباب أمام صراع كونى رهيب!
- الإعلام المصرى تقدم تكنولوچيا، واشترى ماكينات متقدمة، ولكن الدور (العلمى) للإعلام يعنى شيئا آخر تماما.
- سوف أطلب من المسئولين أن يكون لى برنامج تليفزيونى أتحدث فيه للمصريين عن حقائق العلم فى عالم اليوم.

- الناس فى مصر لا يريدون أن يغرقوا فى المسلسلات فقط، ولكنهم يريدون المعرفة، ويريدون المعلومات عن الچينوم البشرى وهبوط مركبة على المريخ!
- قرار جمهورى على وشك الصدور لتنظيم عمل جامعة مصر للتكنولوجيا.
- رفضت فتح حساب مصرفى للتبرعات للجامعة قبل اكتمال الإطار القانونى.
- المشاركة هى أبرز ملامح العلاقة بين العلم والديمقراطية.
- احترامى للنصوص الدينية المقدسة يجعلنى أبتعد عن تحميلها بتفاسير لكل ما تنتجه المعامل العلمية!
- فكرة الجامعة التكنولوجية أن تكون عالمية، وبالتالى فمن القصور الشديد ربطها بإسرائيل أو - حتى - ربطها بالعرب!!
- يجب أن نتوقف عن ممارسة مهنة الشكوى إزاء احتكار المعرفة!
- بليون دولار لمدة خمس سنوات، وسنرى النتيجة فى بناء قاعدة علمية، فجامعة كالتاك لديها ٢,٥ بليون دولار منحة، وخرّجت حتى الآن ٢٨ حائزا على جائزه نوبل!
- لن تأتينا الشركات العملاقة لأن أصحابها يحبون الهرم، أو حمامات الشمس على الرمال، ولكن لتوافر ظروف موضوعية، كما حدث فى الهند التى أصبحت نمرة ٢ فى صناعات «السوفت وير» فى العالم.

أقام مجلس العلاقات المصرى الأمريكى حفله السنوى فى واشنطن، وكان ضيف شرف هذا الحفل هو العالم المصرى الكبير د. أحمد زويل، وقد نقل نبيل فهمى سفير مصر فى الولايات المتحدة الأمريكية رسالة شفهية من الرئيس مبارك إلى الاحتفال يحيى فيها زويل ويجدد تقديره لإنجازه العلمى، كما تلا الدكتور إبراهيم عويس رئيس مجلس العلاقات رسالة بذات المعنى من الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية، وكذا تلا السفير حسين حسونة رسالة من الدكتور عصمت عبد المجيد أمين عام جامعة الدول العربية (آنذاك).

وقد التقيت بالدكتور زويل بعد حضوره هذا اللقاء السنوى حيث أدلى بحديث خاص شامل عن مكتبة الإسكندرية، وتطورات مشروع جامعة مصر التكنولوچية، وأفكار المزاوجة بين العلم والدين، ودور الإعلام فى بناء التفكير العلمى، وأعلن فيه انزعاجه من انسحاب أمريكا من اتفاقية كيوتو البيئية، وكذلك من إقدامها على مشروع درع الدفاع الصاروخى، وحدد موقفه من ادعاءات البعض بأن سبب تأخرنا عن اللحاق بركب العلم هو احتكار الكبار للمعرفة.

وفيما يلى نص الحوار:

- **أصبحتم عضوا فى مجلس أمناء جامعة الإسكندرية، كيف تتصورون حدود الدور الذى ستلعبون، فى إطار هذه المؤسسة الثقافية الدولية الكبيرة التى جعلت هدفها نشر ثقافة الحوار وثقافة التسامح؟**

○ هذا المشروع لا يطلق عليه وصف (مصرى) أو (دولى) فحسب، فهو مشروع (تاريخى) كبير.

ولتوى فرغت من إلقاء محاضرة فى كامبردج فى إنجلترا، وتكلمت فيها عما قدمته الإسكندرية للدنيا، حوالى ٣٣٠ ق. م، مكتبة وجامعة ومتحفا قديما.

وما قدمته مكتبة الإسكندرية للحضارة العالمية ضخم جدا، بكل المقاييس الحضارية، ولكن الأهم من مبنى مكتبة الإسكندرية الجديدة أن نستعيد دور مكتبة الإسكندرية القديمة، وهذا ما أشعر به من الروح التى يتحدث بها المسئولون فى مصر.

نريد أن نستعيد جوهر الحضارة القديمة من خلال هذا المشروع العملاق.

سعيدٌ بتعيينى فى مجلس الأمناء، وأتمنى أن أقدر على المساعدة بأية طريقة، وسعيدٌ - أيضا - أنهم عينوا زميلا وأخا عزيزا هو الدكتور إسماعيل سراج الدين مشرفا على هذا المشروع.. ثم إن مكتبة الإسكندرية - برعاية رؤوم من السيدة سوزان مبارك - بالقطع ستكون مشروعا يتمتع باهتمام ورعاية كبيرة فى مصر، وأنا سعيد بأن أكون جزء منه.

قنابل!

- **منذ بداية التسعينيات وحتى اليوم، بدا وكأن البشرية تواجه ثلاث قنابل قابلة دوما للانفجار.. القنبلة الأولى هى القنبلة الإيكولوچية (متمثلة فى التحديات البيئية التى سببها تشرنوبيل أو ثقب الأوزون أو تلويث العراق للخليج العربى أثناء حرب الخليج)، والقنبلة الأيديولوچية (بانخراط الكثيرين فى تيارات متشددة تنحو بالبشرية نحو التطرف والإرهاب بأكثر من الوسطية والاعتدال)، وقنبلة أسلحة الدمار الشامل.. كيف ترى الخروج من هذه المآزق الثلاثة فى ظل نظام توزيع عالمى غير عادل لا يسمح للفقراء بامتلاك أداة العلم والتكنولوچيا المتقدمة؟**

○ (يضحك).. لو أجبتك على هذا السؤال، فسوف أستحق جائزة نوبل أخرى!!

على أية حال موضوع البيئة الكونية موضوع خطير. فإذا علمت أن درجة حرارة واحدة زيادة على سطح الكرة الأرضية، تؤدى إلى مشاكل إيكولوچية لكل الكوكب يمكن أن نتصور ما تعنيه تغيرات البيئة بالنسبة للإنسان، وكذلك ظهور فيروس جديد مثل الإيدز يمكن أن يضر باعتبارات الصحة والأمان الإنسانى إلى غير ماحدود.

ولقد كتبت مؤخرا مقالا فى مجلة (Nature) العالمية، خاطبت فيه الدول المتقدمة أنها لا يجب أن تفكر بأن هذه المشاكل بعيدة عنهم.. إفريقيا ليست بعيدة، وآخر نقطة فى الكون ليست بعيدة، وحامل فيروس الإيدز قد يأتى من تمبكتو ليعطيه لشخص آخر فى الولايات المتحدة الأمريكية.

مشاكل التغييرات الأرضية الكونية تحتاج إلى لون من ألوان المشاركة، التى يتكاتف فيها كل الناس الذين يدبون على كوكب الأرض.

من أجل هذا، فأنا لا أوافق على إلغاء الإدارة الأمريكية الجديدة لالتزامها باتفاقية كيوتو، التى تحدد لكل بلد حدود لا تتجاوزها فى تلويث الجو، وهو الأمر الذى إذا انفلت من عقاله فلن تستطيع البشرية بعد ذلك السيطرة عليه أو كبح جماحه، وإذا كان سعى الإدارة الجديدة ـ بعد ذلك ـ إلى إنتاج النفط وزيادته من ألاسكا سوف يحل مشكلة استهلاك البترول، فإنه سيعود على كل الأمريكيين ـ بعد ذلك ـ بأنصبة من أضرار التلوث والدمار البيئى.

هذه مسئولية وحقوق كل من يعيش على الكرة الأرضية، ولابد أن نتحمل هذه المسئولية وإلا فالإصابه بالضرر ستكون عامة. ثقب الأوزون مثل إلغاء اتفاقية كيوتو، مثل الإيدز كلها موضوعات كونية/ إنسانية، الحقوق فيها متساوية، وواجب المشاركة فى المواجهة واحد.

أما عن قنبلة الأيديولوچيا، فربما أهم ما أراه فيما يخصها، هو ما يسمى الآن

(صراع الحضارات)، وتأمل حجم ما يكتب عنه هذه الأيام يشعر الإنسان ـ حقيقة ـ بحجم الخطر الذى يمكن أن تسببه مثل هذه النظريات، فالتأكيد على هويات مغايرة لما كان سائدا فى الدنيا (مصريون.. إفريقيون.. إلخ)، واستبدالها بهويات أخرى (مسلمون.. مسيحيون.. يهود)، مع الإقرار بحقيقه أن العالم أصبح قرية صغيرة، وأن الإنسان يخشى بطبعه أن تذوب هويته العقائدية وسط عالم سقطت فيه الحدود أو تتلاشى، ومع الإقرار ـ أيضا ـ بأن النزوع الطبيعى لدى الناس هو التمسك بالهوية ذات الطابع الدينى.. كل هذا يؤدى إلى سيادة مزاج التعصب (Fanatism)، وظهور حركات ترفع مثل هذه الأفكار فى جميع أنحاء العالم.

وتصورى لحل هذا المشكل الإنسانى الكبير يأتى اقتصاديا فى المقام الأول، مهما عاد وزاد كل طرف عن أيديولوجيته وعقائده وأفكاره.

لو تخرج شاب متميز وعبقرى من الجامعة فى مصر، ولم يجد وظيفة، أو وسيلة للحياة، فما الذى نتصوره عن اتجاهه؟!

ببساطة، سيتحول إلى عامل مدمر فى المجتمع، أو يتجه إلى الارتباط بأفكار تعصب وتطرف دينية، فلديه إحساس بأنه يريد أن يعيش، ولكن لا يستطيع أن يعيش، ومن ثم فالطاقة المكبوتة داخله سوف تعبر عن نفسها بأحد الشكلين، فإما تدمير المجتمع بشكل مجرد وإما تدمير المجتمع من خلال فكر التعصب.

على أى حال فكلما تحسن الوضع الاقتصادى، قلت فرص التعصب، وما يحدث على مستوى مجتمع من المجتمعات، يحدث ايضا على مستوى الكوكب كله، على الرغم من أنف أفكار (صراع الحضارات) التى تحمل فى داخلها ـ أيضا ـ بذور تعصب وهاوية نزاع إنسانى ليس لها قرار.

أما فيما يخص أسلحة الدمار الشامل.. فالحقيقة أن هذا الموضوع يعكس حيرة أى إنسان فينا عند النظر إلى عالم اليوم، فأنا ـ مثلا ـ كنت أظن أننا نعيش فى ظل New world order أو نظام عالمى جديد، وأن الحرب الباردة قد انتهت،

وأن قوة عظمى واحدة أصبحت هى المهيمنة على العالم، ومن ثم فإن فرصتها فى تحقيق أحلام البشر فى التقدم والسلام أصبحت أكبر.

ولكن ذلك لم يحدث، وجاء الرئيس چورچ دبليو بوش يحمل رؤية مختلفة تماما، فهو يريد إلغاء اتفاقية الحد من الصواريخ الباليستيه ABM، ومناخ الحرب الباردة ومفرداتها يعود، والصين بدأت تظهر كقوة عظمى.. شىء من (اللخبطة) الحقيقية، ولذلك أنا أسمى ما يحدث The new world disorder أو اللانظام العالمى الجديد!

مسألة نوع التسليح ليست هى المحك فى مواجهة الأخطار التى تحيط بالإنسان، فقد كنا نتصور أن القنبلة النووية هى السلاح الوحيد القادر على التدمير الكبير وفرض إرادة طرف على طرف آخر، ولكن اليوم - أصبحنا نعرف أشكالا أخرى من التسليح قدمها العلم، سواء كانت أسلحة بيولوچية أو كيماوية، وهى لا تحتاج إلا إلى تقنية بسيطة جدا، ولكنها يمكن أن تدمر بلدا بحاله.

إذن، فالمهم ليس نوعا معينا من أسلحة الدمار الشامل.. المهم هو التفاهم الإنسانى والتبادل الفكرى والحضارى.

السؤال الذى يساوى مليون دولار - فى هذا الإطار - هو: هل نستطيع أن نجلس معا فى منظمة مثل الأمم المتحدة، ونحل المشاكل الكونية التى تواجه الإنسانية، ونعيش معا (ستة مليارات نسمة) من دون صراع.

بالطبع أنا أتكلم كعالم، ولكننى لا أعتقد أن الحل سهل، أو أنه يمكن أن يتحقق فى عشر سنوات، أو فى عشرين عاما، ولكن الذى يجب أن نعرفه هو أننا إذا لم نصل إلى الحل فسوف نعود إلى الحروب.

إذا دخلت أمريكا - فعليا - إلى مشروع الدرع المضاد للصواريخ فسوف تفتح الباب أمام صراع كونى رهيب على بناء ترسانات تسليحية من أنواع مختلفة، فإذا اتجهت أمريكا إلى بناء الدرع المضاد للصواريخ، فقد تتجه الصين - مثلا - إلى نوع آخر يستطيع مواجهة هذا الدرع، وسوف تلجأ دولة ثالثة إلى التوسع

فى ترسانتها البيولوچية والكيماوية.. والعالم - بالقطع - لا يحتاج إلى هذه الصراعات، أو إلى اندلاع حمى سباق التسليح من جديد على هذا النحو.

إعلام:

● إلى أى مدى تعتقد - يا دكتور زويل - أن سيادة معايير «المجاز» فى وسائل الإعلام المصرية، قد أثر على إمكانية تسييد قيم العلم فى عمليات التنشئة الاجتماعية فى البلد؟

○ تقدم الإعلام المصرى فى آخر ١٥-٢٠ عاما تكنولوچيا بشكل كبير، واشترينا أقمارا صناعية ومعدات وماكينات متقدمة جدا.

ولكن الدور (العلمى) للإعلام يعنى شيئا آخر تماما، ولكى أقرب الصورة، سأحكى عن تجربة مررت بها مع تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C، فقد عزمت على نشر ورقة علمية مهمة فى مجلة أمريكية دولية بحثية شهيرة، اسمها علوم Science، وعادة ما تقوم هذه المجلة قبل أسبوع من صدورها بعمل نشرة إعلامية عن محتوياتها، ومن ثم فقد ضمنت نشرتها نبذة عن مقالى، وعلى الفور وجدت الـ B.B.C تتصل بى، وأرسلوا لى مندوبا من لندن إلى باسادينا - هنا فى الولايات المتحدة - ليجرى معى مقابلة حول موضوع البحث.

هذا هو ما يعنيه الحس العلمى لدى جهاز إعلامى، فأولا لديه خبراؤه الذين يعرفون ويستعملون وسائط مختلفة، للتعرف على آخر ما يدور على مستوى العلم فى الكون كله، ثم هم على استعداد لبذل مجهود حقيقى من أجل نقل تفاصيل هذا الذى يدور إلى الناس فى كل مكان.

بعبارة أخرى تقدم جهاز إعلامى علميا، مرهون بمدى علمية وتقدم مضمون رسائله، وبإدراكه لأهمية العلم والتكنولوچيا، وباحتضانه لشبكة من الخبراء تعرف ما الذى تتابعه، ومن الذين تتابعهم.

هذا الحس العلمى يحتاج إلى أن يتعمق فى مصر وفى العالم العربي، ولن يكون ذلك إلا بنشأة قاعدة علمية، تنقل وتعكس فكرة أهمية العلم إلى رجل الشارع العربى.

● دكتور زويل.. سؤالى مازال قائما.. هل سيادة ثقافة (المجاز) فى الإعلام المصرى أدت إلى محاصرة حجم وتأثير ثقافة (الحقائق)؟

○ الزخرفة اللفظية التى يعنى بها وتسميها أنت (ثقافة المجاز)، تؤدى إلى فقدان العمق فى إدراك الناس، أو حتى اهتمامهم بالموضوعات، أو التطورات ذات الطبيعية العلمية، وعلى سبيل المثال فقد كانت جامعة كالتاك فى باسادينا التى أعمل بها، هى صاحبة مشروع هبوط المركبة على سطح المريخ، وقد ذهبت إلى مصر فى هذا التوقيت، وفى الطريق توقفت فى لندن، فوجدت الدنيا مقلوبة، ولا حديث للإعلام أو الناس إلا عن هبوط المركبة على سطح المريخ.. ولكن فى مصر، وبما تسميه (ثقافة المجاز) أشير للموضوع، ولكن لم يتوقف عنده أحد ليحلله أو يفهم معناه، ومن ثم يشرحه.

وكذلك فى موضوع الجينوم البشرى وغيرها من الإنجازات الجبارة للإنسان فى عالم اليوم.

الناس فى مصر متشوقون جدا لمعرفة مثل هذه الأشياء، هم لا يريدون أن يغرقوا فى المسلسلات فقط.

لقد ألقيت محاضرة فى مصر عن موضوع الجينوم البشرى فى المسرح الكبير بدار الأوبرا ضمن برنامج صالون زويل، ولم يكن هناك موضع لقدم فى هذا المسرح، وقد تكلمت لمدة ساعتين، والناس يجلسون بكل انتباه، وإنصات، وتعطش حقيقى للمعرفة.

الشرح العلمى يحتاج ـ فى إعلامنا ـ أن يكون له مساحة، لكى ندخل إعلاميا بعمق فى طرح الموضوعات العلمية.

وسوف أطلب من المسئولين أن يكون لى برنامج على التليفزيون، أشرح فيه بعض حقائق العلم اليوم على غرار ما فعلوه فى إنجلترا لأبى الكهرباء العالم فاراداى، حين كان يقدم محاضرة أو اثنتين فى العام لكل المجتمع البريطانى وليس للمتخصصين فقط.

وربما تخلق مثل هذه المبادرة وسطا مهتما، بمعنى أن تدفع علماءنا إلى المشاركة فى مثل هذا الجهد، وتربى جيلا من الإعلاميين المتخصصين فى نواحى الاهتمام العلمى الكونية الكبيرة.

بعبارة أبسط، إن لم نك طرفا فى صناعة الإنجاز العلمى نفسه، فلنكن على معرفة بحدوثه، أو نعيش فى جوّه، ومن ثم نصبح جزءا من هذا الزمن، أو هذا العصر.

جامعة!

- **ماذا عن جامعة مصر للتكنولوچيا.. لقد سمعتك تذكر فى الاحتفال السنوى لمجلس العلاقات ـ المصرى ـ الأمريكى أن القانون المنظم لعلم هذا الجامعة على وشك الصدور، وكنت قد ذكرت لى هذا فى حوار منشور منذ عشرة شهور.. لماذا أصبح هذا الموضوع كحكايا الربابة، لانرى له خطوات فعلية متواترة على الأرض؟**

○ الجراح الذى يجرى عملية مهما كان ماهرا وباهرا، لا يستطيع أن يجرى هذه العملية إلا إذا كانت المستشفى جاهزة بالكهرباء والمعدات وغيره.

وأنا فى موضوع جامعة مصر للتكنولوچيا، أتعامل مع رئاسة الجمهورية، وقد أولانى الرئيس مبارك دعما كبيرا، وأظهر حماسة كاملة للموضوع، وبالفعل أعددت الهيكل الأكاديمى والمناهج والعلوم الأساسية فى مشروع موجود بالكامل فى الرئاسة.

فى عنقى أمانة تاريخية لمصر، ولا أستطيع أن أدفع بالموضوع وأنا ـ نفسيا ـ أشعر أنه لم يكتمل.

لا أستطيع أن أستبق خطوة قبل خطوة أخرى، لمجرد الرغبة فى الاحتفال!

وبالتالى لا أستطيع مثلا أن أبدأ فى جمع التبرعات قبل صدور الهيكل القانونى المنظم، وأنا أعلم ـ وأنتم أيضا تعلمون ـ كيف أن البيروقراطية فى بلدنا والأوضاع والنظام القانونى تستغرق وقتا ربما أكبر من تصورى حين بدأت هذا العمل بكثير.

الجزء الأساسى المنوط بى وهو الهيكل الأكاديمى والمناهج، مدروس وموجود بالكامل فى مؤسسة الرئاسة.

وقد أُبلغت ـ مؤخرا ـ من مكتب سيادة الرئيس أن قرارا جمهوريا بصدد الصدور قريبا، ليحمى هذه المؤسسة (الجامعة) من البيروقراطية الحكومية، ويعطيها طابعا عالميا يمكن أن تتحرك فيه.

وبعد ذلك تبدأ مرحلة التمويل.

وياليتنى كنت غنيا، لأضع كل ما أملك فى هذه الجامعة، ولكن هناك ـ بالقطع ـ من يستطيعون.

ولأن الجامعة هى مؤسسة (غير حكومية Non Governmental) و (غير قابلة للربح (Non Profit)، فسوف يحتاج تمويلها إلى إسهام كبير، ومن عقليات وشخصيات ينبغى أن تكون مؤمنة بالفكرة، مستوعبة لها.

لقد قمت بجولات فى العالم العربى، وجلست، وتناقشت، مع رجال أعمال مصريين كثيرين، ولدينا تصور لكيفية الحصول على التمويل، ولكن بمجرد صدور القرار الجمهورى، نستطيع البدء فى عملية التبرعات والتمويل. . أى نعم لقد أخذنا وقتا، ولكن هذا أفضل لنظهر على أسس علمية صحيحة، بدلا من أن نفتتح الجامعة، ثم ـ بعد خمس سنوات مثلا ـ يأتى من يقول: أنتم لستم على مستوى العالمية!

الموضوع ليس أن نشيد مبنى، ونعيّن موظفين، ونحدد كادرا حكوميا، ونعلق «يافطة».

الأساس فى الشغل ـ كما فى الغرب ـ أن المؤسسة نفسها ـ كقاعدة ـ تكون قوية، ومؤسساتها واضحة، وعندما ننجح فى ذلك، فليس من الضرورى أن يكون أحمد زويل ـ حتى ـ موجودا.

ولقد شهدت عملية بناء هذه القاعدة عملا كثيرا منذ حوارنا السابق، لقد حددنا ماهى العلوم التى سنركز عليها بالنسبة لجامعة العلوم والتكنولوچيا، وحددنا مجلس الأمناء، ووظيفته وما هى صلاحياته، واختصاصاته، وكل هذا يأخذ وقتا.

وكل شىء لدىَّ محفوظ فيما يخص مشروع الجامعة، لأننا فى الغرب نهتم بالتأريخ لمثل هذه المشروعات، وحتى لو كان الأمر مجرد فاكس إجرائى ستجده محفوظ عندى.

أنا من (يَمتِى) «ناحيتى» أعمل كل ما أستطيع عمله لمصر، وهو ـ بالدرجة الأولى ـ التركيبة العلمية ومجلس الأمناء، ولو جاءنى فى فاكس من مصر حول المشروع أرد عليه بعد يومين، فى حين أنه ـ بطبيعتنا فى مصر ـ لو أرسلت فاكسا يردون علىَّ بعد شهر.

على أية حال، الخطوة التى ستحدد مسار الانطلاق هى صدور القرار الجمهورى، لأن تنظيم عمل هذه الجامعة لابد أن يكون واضحا جدا، وهناك أشياء ينبغى ذكرها مثل الضرائب، ومثل معاملة الأجهزة العلمية جمركيا، فإذا افترضنا أن هناك أجهزة علمية بعدة ملايين من الجنيهات وصلت إلى الجمرك، فلا يجب أن نسقط فى دوامة عدم القدرة على إخراجها.

هذا المشروع أمانة فى عنقى، والتزامى فيه أمام ثقة السيد الرئيس وأمام ثقة الشعب المصرى كله. ومن هنا لا يجب أن يكون ساحة للشعارات، أو الاستجابة للرغبة العارمة فى الاحتفال، من دون أن يكون الإعداد أو البناء قد اكتمل.

لابد أن يكتمل مثلث (التصور الأكاديمى + التصور القانونى + التصور التمويلى) للجامعه، والتصور الأكاديمى انتهى تماما، والتصور القانونى على وشك الصدور، وبعده نبدأ فى مطالبة الممولين أن يضعوا مالا فى البنوك، ولقد اقترح علىّ بعض رجال الأعمال أن أفتح حسابا فى البنك منذ ستة أشهر، ورفضت، إذ لا يمكن أن أسمح بهذا، وبأن تجمع أموال وأصحابها لا يعرفون ماذا نفعل، أو أين ذهبت أموالهم. . لابد أن تكون الأمور واضحة.

ديمقراطية!

- **ما هو تقويمك - يادكتور زويل - للعلاقة الجدلية التبادلية فى مجتمعاتنا العربية بين الديمقراطية والعلم.. بعبارة أخرى، فهمك العلمى لنسبية الحقيقة وإطلاقيتها، وعلاقة أيهما بالديمقراطية؟**

○ الديمقراطية مفهوم تشكل عبر التاريخ، بطرق - جد - مختلفة.

فهناك ديمقراطية الإغريق، وهناك ديمقراطية أمريكا، وهناك ديمقراطية إنجلترا.

وهناك بلاد كثيرة فى العالم العربى ليس لديها ديمقراطية، والبعض الآخر يحاول الحصول على الديمقراطية، ولكن لابد أن نضع فى إعتبارنا أن من هذه البلاد ما تصل فيه نسبة الأمية إلى ٥٠٪ أو أكثر، وبالتالى لا تستطيع أن تقفز دفعة واحدة إلى الشكل الكامل للديمقراطيات التى نعرفها، فيما الناس لا تفهم - حتى - معنى الكلمة بوضوح.

العلوم والتكنولوچيا لهما دور كبير جدا فى تحقيق وترسيخ معنى المشاركة (Participation).

وسأحكى لك مثالا: فأنا - شخصيا - أعقد اجتماعا أسبوعيا يوم الجمعة، طالما كنت فى كالتاك، مع طلبتى الذين يدرسون للدكتوراه، نشرب الشاى ونتحدث فى كل المشروعات العلمية المتقدمة التى نعمل عليها فى جامعتنا، وكل واحد يقول رأيه، هل معنى ذلك أنهم لا يحترموننى؟، بالقطع لا، وهل معنى

هذا أننى لو قلت شيئا فلن ينفذ؟، بالطبع سوف ينفذ، ولكنه سيطعم بآراء هؤلاء، فربما يظهر لى فى هذه القعدة شاب جديد قرأ شيئا لم أقرأه، أو صاحب رؤية طازجة بريئة مختلفة عن رؤيتى المثقلة بالحسابات، والتى يفرضها وضعى العلمى والمعنوى.

الاحترام المتبادل، والتراضى على تعريف لمعنى الحرية والديمقراطية، ووجود (نظام) يعمل الإنسان فى إطاره، ثم المشاركة فى التفكير وفى اتخاذ القرار، هذا هو الطريق إلى النجاح.

هناك ثلاثية مهمة جدا هى (العلم/ التكنولوچيا/ المجتمع)، وهذه الثلاثية هى من العوامل المؤثرة جدا على موضوع العلاقة التبادلية بين العلم والديمقراطية.

إذ لا يمكن أن تفرض فكرة معينة على المجتمع بمجرد قرار.

ففى قضية الاستنساخ البشرى مثلا، من الذى يقررها للمجتمع الأمريكى؟ هل هو وزير الصحة مثلا؟ بالطبع لا، فهو ليس العالم العلامة الذى يفهم فى كل شيء، ثم لو كان - حتى - هو العالم العلامة الذى يفهم فى كل شيء، فإنه فى النهاية فرد ولديه تصور من نوع معين، ليس - بالضرورة - الذى يحب المجتمع أن يتبناه أو يوافق عليه.

لكى يطرح موضوع مثل الاستنساخ البشرى على المجتمع الأمريكى، تقوم - مثلا - أكاديمية العلوم الأمريكية (وهى أقوى مؤسسة علمية فى أمريكا تضم فطاحل العلم الحقيقيين) بدراسة الموضوع، ثم لأن هذا الموضوع له علاقة برجل الشارع ومصالحه وتصوراته عن حياته ومستقبله، فإن الأكاديمية تصدر تقريرا مبسطا للجمهور، يشرح فيه العلماء الفكرة، ويقولون لماذا سيكون الاستنساخ مفيدا، وكيف أنه سيسهم فى صناعة أعضاء جديدة، وسوف يكون فى إمكاننا عمل كبد، أو قلب.. هذا من الجانب الإيجابى، وعلى الجانب الآخر فإن الاستنساخ قد يؤدى - مثلا - إلى صناعة هتلر جديد أو غيره!

لابد أن تكون للمجتمع ثقافة علمية تسمح له، بالموافقة أو عدم الموافقة، وإذا لم يك لدى المجتمع وعى بذلك، لابد من توعيته، لكى يكون لمشاركته معنى.

فالعلم ـ إذن ـ هو الذى يخلق أساسا حقيقيا ومنظما للمشاركة.

فإذا علم الناس بالموضوع، أصبحت مناقشته ممكنة فى التليفزيون وفى الإعلام، وإذا أدى الإعلام دوره فى أن يعلم الناس بما توصل إليه الخبراء، فسوف تكتمل وتتصل أضلاع مثلث (العلم ـ التكنولوچيا ـ المجتمع).

المشاركة بين علم حصل فى المعمل من اختبار تأثير الكهرباء على الخلية الإنسانية، وعلماء فطاحل فى الأكاديمية الأمريكية، ورجل الشارع فى النهاية، تشترط وجود ثقافة علمية فى المجتمع، وليس معنى هذا أن كل أمريكى أو إنجليزى مثقف علميا، ولكن لديه القاعدة النقدية التى تسمح له بالمشاركة، ما إذا عرف، أو علم.

إسرائيل!

- **دائما ما يتم ربط مشروعك للجامعة التكنولوچية، بفكر التعاون الإقليمى الشرق أوسطى، والآن ونحن نشهد فصول هذا العنف المتصاعد فى منطقتنا، والذى بات يهدد فكرة التعاون الإقليمى ذاته، على الأقل فى الأمد المنظور والمتوسط، لماذا لم تفكر فى أن تربط هذه الجامعة بالمجال العربى فقط؟**

○ فى المرات العديدة التى تحدثت فيها عن هذه الجامعة، قلت: إن تصورى لها، هو أن تكون جامعة على المستوى العالمى، ولكن فيها حضور ثقافى عربى.

وحتى فى بعض المسائل التى تبدو شكلية، راعيت ذلك، سواء بعمل ما يشبه «Internet Cafés» أو مقاهى الإنترنت فى مدن الطلاب الجامعية، لكى يعمل فيها الأولاد على شبكة المعلومات الدولية، فيما يستمعون إلى الموسيقى العربية، فليس بالضرورى أن يستمع أبناؤنا إلى موتسارت وهم يدرسون أو يبحثون ويذاكرون.

ولكن العلم الذى سيتم تدريسه فى هذه الجامعة فى المعامل أو فى

المدرجات، لابد أن يكون مثل ما يدرس فى كالتاك أو فى هارفارد.

مهمة الجامعة خلق ثقافة عربية كاملة، ولكن تشع على المستوى العالمى.

وبما أننى قلت المستوى العالمى، فأنت لا تستطيع أن تقول سوف نجعلها عربية فقط، لأننا - فى الواقع لن نُدرس لغة عربية وتاريخ، ولكننا سنُدرس علم وتكنولوچيا، وهذا العلم والتكنولوچيا هو لغة العالم اليوم.

كلمة شرق أوسطية هنا لا تعنى الاقتصار على إسرائيل والعالم العربى وتركيا، ولكنها كلمة تحدد موقع الجامعة فقط.

نريد جامعة دولية وعالمية، ومن القصور الشديد ربطها بإسرائيل، أو - حتى - بالعرب.

المعيار الوحيد هنا هو تفوق الطالب أو الأستاذ، كما نفعل فى كالتاك، فلو جاءنا طالب من تركيا سنقبله، ولكن لابد أن يكون متميزا، فالمعيار - هنا - هو التفوق وليس الجنسية.

لا تغلقوا الأبواب على أنفسكم.. فلندع الأبواب مفتوحة، لأن العلم عالمى، والثقافة العلمية التكنولوچية عالمية.

عولمة!

● **أصبح فكر العولمة هدفا رئيسيا لهجوم تجمعات دولية كثيرة سواء كانت جماعات حقوق إنسان أو جماعات نقابية أو جماعات بيئة، وأصبح هذا المثلث يطلق عليه اليسار الجديد.. هل ترى أن قوى اليسار الجديد هذه هى رد الفعل الأهلى، إزاء فكر احتكار المعرفة؟ وكيف تتصور نتيجة المواجهة أو التناطح مع هذا الاحتكار؟**

○ الاحتكار، والمبالغة فى الإحساس به، هما النتيجة الأساسية لثقافة الانعزال، والكلام الكثير المريح والسهل.

نعم من السهل أن تنتقد الآخرين، ولكن من الصعب أن تقوم أنت نفسك بصناعة شيء له وزنه.

عندما جئت إلى أمريكا، كان شيئا جديدا عليهم أن يروا مصريا وقد دخل إلى أبحاث التكنولوچيا وفى أكبر الجامعات الأمريكية، وبالقطع لم يكن لديهم تصورا أننى سأكون مثل الألمانى أو الإنجليزى، وكان علىَّ أن أثبت نفسى لسنوات تلو سنوات حتى وصلوا إلى الاقتناع بأنه من الممكن لعقلية مصرية / عربية أن تكون على قدم المساواة، وتتفوق أيضا!

أنا لم أنظر إلى موقفهم فى البداية على أنهم ضدى، وأنهم يحتكرون العلم، وأننى بالتالى سأفشل، ثم أصب بعض اللعنات عليهم.

إذا كان العالم العربى يريد أن يرتقى، ويكسر احتكار المعلومات ويتقدم علميا، فلابد أن يثبت نفسه أولا، وألا يحترف مهنة الشكوى إزاء احتكار المعرفة.

لا أريد أن آخذ من فكر حركات الاحتجاج فى العالم مبررا أن أركن إلى البكاء وعدم العمل، وإلقاء كل اللوم على النظم الصناعية والعلمية الشريرة التى تحتكر المعرفة.

حركات الاحتجاج التى يوصف أصحابها، بأصحاب الثقافة الثالثة، أو البعد الثالث، تتخذ هذا الموقف من خليط من الأفكار والمبادئ، وهى تمارسه داخل النظام وليس خارجه، بغية أن تنجح يوما فى تغييره.

أما نحن فعلينا أولا أن نعمل كثيرا، ونرتب مطبخنا من الداخل، قبل أن نتذرع بهذا الاحتكار، ثم نركن - مرة أخرى - إلى الشكوى.

اقتصاديا تبادلات العالم العربى البينية حوالى ١٠٪، ومعظم تداولاته مع العالم الغربى. . وهذا وضع لا يستقيم.

لابد من تكامل الإمكانيات العربية، فهناك بلاد فى العالم العربى لديها مالا

ينشئ المؤسسات والمعاهد، وهناك بلاد فى العالم العربى لديها العقول والطاقات البشرية الرهيبة، وعلى الرغم من هذا فإن العالم العربى لم ينجح فى الظهور على الخريطة العالمية بعد فيما يخص العلوم والتكنولوچيا.

أنا لا أستطيع أن ألوم الغرب، وأقول إنهم يحتكرون.

دعونا نرتب بيتنا من الداخل أولا، ونبحث عن جيراننا - ثانيا - لنرى كيف سنتعاون أو نتكامل معهم.

لو دولة عندها القنبلة الذرية، لن تعطيها لك، ولكن يمكن أن تتعامل قاعدتك العلمية مع الموضوع، فتستطيع أن تحصل من العالم على مساعدات تمكنك وتسهل لك.

التقدم العلمى الرهيب الذى حدث فى الإنترنت وفى نظام المعلومات، يستطيع أى بلد لديه قاعدة علمية قوية أن يتعامل مع بقية العالم، بدليل أن الهند لم تك لديها أية مقومات بالنسبة لصناعة البرمجيات والسوفت وير، وأصبحت اليوم نمرة ٢ فى العالم. . كيف حدث هذا؟ . . بالعمل طبعا.

كان من الممكن أن ينخرط الهنود فى البكاء، قائلين إن أمريكا تحتكر أسرار صناعة السوفت وير، ولكنهم لم يفعلوا. لقد أنشأوا معاهد ومدارس كثيرة فى الهند، لتعليم أولادهم، ولخلق القاعدة العلمية السليمة وشقوا طريقهم إلى المشاركة فى أسرار العالم الكونى الكبيرة.

معى - الآن - فى فريقى الأكاديمى اثنين من الهنود، مستواهما قمة، لا أمريكان ولاغيره!!

القاعدة العلمية العربية ضعيفة، ولابد من إعادة بنائها، وقبل أن نشكو أو نبكى، علينا حشد مواردنا لبناء هذه القاعدة العلمية.

لقد كنت ضيفا على عماد الدين أديب فى برنامجه التليفزيونى على إحدى القنوات الفضائية العربية، وقلت لو أن أحد أثرياء العالم العربى، أو إحدى دوله

الثرية قدمت لنا شيكا ببليون دولار، سترون ما الذى يمكن أن نفعله على مدى خمس سنوات.

جامعة كالتاك لديها منحة حجمها ٢,٥ بليون دولار، وقد خرجت ـ حتى اليوم ـ ٢٨ حائزا على جائزة نوبل.

هل بليون دولار هو أمر كثير على موارد العالم العربى ليتم تخصيصه لأجل بناء قاعدة علمية؟ بالطبع لا.. وبالفعل لقد أمطرنى المشاهدون بعد البرنامج بفاكسات ومكالمات تحمل هذا المعنى، وتوافق، وأرسل البعض يعرضون مشاركات كبرى، ولكن كالعادة ـ هناك كلام كثير جدا يهدر فيه الوقت، أو يراق فيه الكثير من الحبر والعرق، ولكن حين نأتى إلى لحظة الفعل الحقيقى، يتبخر كل شيء، ونجلس ـ بعد ذلك ـ لنحترف مهنة الشكوى، ونلقى باللوم على احتكار المعرفة والنظام العالمى الصناعى والعلمى الشرير.

● فى هذا الإطار، ما هو تصورك للدور الذى تلعبه الشركات العملاقة متعددة الجنسيات فى احتكار اكتشافات العلم وحجبها عن أن تكون إنسانية أو عالمية؟

○ دعنا نتفق ـ أولا ـ على أن العقل الغربى يفكر بالمصلحة المتبادلة، لو أن هناك شركة عملاقة فى الكومبيوترز وستجد أن العماله فى مصر أرخص، وأكثر تدريبا، وأن الفرد فى مصر لديه معرفة وعلم، ستذهب هذه الشركة إلى مصر وتقيم مشروعها أو شركتها، ولكن إذا لم يكن لدينا شيئا من هذا، فمن الطبيعى ألا يأتوا.

لقد فعلوا ذلك فى الهند، فحين نجحت الهند فى خلق القاعدة العلمية السليمة، ذهب بيل جيتس وآخرين وأقاموا فيها مشروعاتهم، وكذلك يذهبون إلى جمهورية أيرلندا التى تقدمت جدا فى مجال السوفت وير. وفى الصين هناك مثل حى على ذلك، حيث أصبحت شنغهاى كلها غارقة فى بحر من استثمارات الشركات العملاقة الأمريكية.

لماذا يذهبون؟ . . لأن هناك عمالة، وهناك تعليم، وهناك نظام.

أما العواطف فلا مكان لها.

لن تأتينا الشركات العملاقة، لأن أصحابها يحبون الأهرام، أو حمامات الشمس على الرمال، أو لأننا سنقول لهم: «معلهش والنبى»!!

ولكن سيأتينا هؤلاء، لأن هناك عوامل جذب موضوعية عندنا تتعلق بوجود القاعدة العلمية، والعمالة، والقوانين المنظمة، وبيروقراطية أقل توحشا!

● ما هو الوزن النسبى الذى تعطيه للدور الذى تقوم به وسائط ثورة المعلومات فى كسر واحتكار الحقيقة العلمية؟ وهل توافق على أفكار من يرون أن فى وسائط ثورة المعلومات هذه لونا من ألوان تكريس علاقة التبعية الثقافية على المستوى الدولى؟

○ كل شىء له جوانب سلبيه، وجوانب إيجابية.

بالقطع فإن من الجوانب الإيجابية، هو ما تتيحه لك وسائل المعلومات الدولية التى تفتح لك مدخلا على ما يدور فى العالم، فاليوم أى طالب - عبر الإنترنت - يستطيع أن يعرف ماذا يعمل الدكتور زويل فى معمله فى كالتاك، وما الذى وصل إليه.

ولكن فى هذا الإطار أحب أن أنوه، أن هناك تصورا خاطئا يتصور أصحابه، أنهم متى وصلوا إلى مدخل للمعلومات، فإنهم قد أصبحوا مبتكرين أو مبدعين بالضرورة.

الإبداع أو الابتكار يحتاج إلى مناخ معين، وليس معنى أن لدينا تقنية معلومات أن بلدنا سيمتلئ - أوتوماتيكيا - بالمبدعين والمبتكرين، وأننا - أوتوماتيكيا - أيضا طلعنا إلى السماء!!

ثورة المعلومات وانفجارها يعنى - أولا - كيف تلتقى بالمعلومة، ثم كيف ترتقى بهذه المعلومة لتصبح على مستوى علمى وتكنولوجى يفيد البلد.

هذه الوسائط أسهمت فى سرعة وصولنا إلى المعلومات، وهذا جانبها الإيجابى، ولكنها لم تحدد لنا الطريقة التى سنتصرف بها إزاء هذه المعلومات.

أما الجانب السلبى، فيتعلق - بالقطع - بتأثير هذه الوسائل على نظمنا القيمية والأخلاقية والثقافية.

ففى بيتى - مثلا - هناك قوانين محددة لاستخدام الإنترنت، وهناك Secret Codes أو كود سرى لاستخدام الجهاز، حتى لا يستعمل الأطفال الإنترنت على نحو يؤدى إلى تعرضهم إلى بذاءات أو إلى مصائب أخلاقية.

وإنه لمن السخرية - فى الواقع - أن سلاح المعلوماتية العلمى الجميل له هذا الجانب الشرير.

أيضا فى البلاد النامية، طريقة التعامل مع أجهزة المعلومات خاطئة جدا، فأنت ترى الولد أو البنت يجلسان ١٥ ساعة أمام الشاشة، وهذا خطأ اجتماعى ونفسى كبير، وهذا شىء قاتل بالنسبة لتعليم الأولاد، وقدرتهم على التركيز، والوقت الذى يخصصونه للتعامل مع الأب والأم.

وأيضا فإنهم يتعرضون إلى الأشياء التى وضعت الكود السرى على الأجهزة فى بيتى لأحمى أطفالى منها.

(الإدمان.. والمخدرات.. والجنس) سلع شائعة جدا، وهى جميعا تمثل الجانب السلبى فى وسائل انفجار المعلومات وثورة الاتصال.

تفاسير!

- **هناك جدلية شهيرة وذائعة فى العالم العربى، تقوم على التفرقة القاطعة بين (رأى العلم) و (رأى الدين) أو المزاوجة العسفية بين الخطاب العلمى والخطاب الدينى فى كل شىء.. ما هو موقع مثل هذه القضية من المنطق الذى يحكم تفكيرك العلمى؟**

○ أنا لا أنظر إلى القرآن الكريم، بوصفة كتابا فى الكيمياء، أو كتابا فى

الطبيعة، وإنما أجده كتابا أكبر بكثير، وأعظم بكثير، وأرفع منزلة بكثير من أن يكون كتابا متخصصا.

والناس الذين يتصفون بالفهم والاستنارة، يعرفون - جيدا - أنه لا يوجد تعارض بين الصورة الكلية الكبيرة التى تنص عليها الكتب السماوية، ودور العلم والتقدم العلمى فى المجتمع.

إذا نظرنا للعمل العظيم الذى أنجزه نيوتن، هل من الضرورى لكى نجزم بصحة هذا العمل، أن نجد نصا فى الإنجيل ينص عليه (باعتبار أن نيوتن مسيحى)؟

نيوتن بنى على إنجاز جاليليو، وبعد نيوتن جاء أينشتين ليبنى على إنجازات من قبله، وكل من العلماء يغيّر - أثناء بحثه وشغله - من أفكاره والطريقة التى يفهم بها الكون، فهل يعنى هذا أننا يجب أن نغيّر تفسيراتنا للنصوص الدينية، وفقا لما نصل إليه من أبحاث واكتشافات.

سنوات تضيع فى مثل هذا التفكير، ثم إننى لا أفهم أن تختزل قيمة الكتاب المقدس، أو تختزل قدسيته فى إثبات فروض نظرية علمية، أو اكتشاف علمى.

الدين يعطينا الصورة الكلية الكبيرة، والإطار الأخلاقى والروحى لفهم حقائق الحياة، وهذه جميعا أشياء مهمة جدا للإنسان، وحتى الآن نحن نحاول فهمها والإحاطة بأبعادها.

أما العلم فهو يجعلنا نفهم ونفسر ظواهر الطبيعة.. كيف تسير الكواكب، سرعة الزمن، علم طبقات الأرض، وهكذا..

وأظن الفارق واضح.

- **هل كان لزيارتك إلى الفاتيكان فى نوفمبر الماضى أية علاقة بما يمكن تسميته بالحوار بين الدين والعلم؟**

○ لقد كنت فى الفاتيكان لأنى انتخبت عضوا فى مؤسسة اسمها الأكاديمية

البابوية، ويبلغ عمرها ستمائة عام، وهى تضم العلماء فى جميع أنحاء العالم من كل التخصصات وعددهم ستون عالما، وكان لى الشرف فى أن أكون واحدا منهم.

وحين نجتمع كعلماء، نتناقش - بالضرورة - فى أمور الحياة والعلوم والدين، والعلاقة بين الدين (بشكل مجرد) والعلم وصراع الحضارات.

وأنا مهتم جدا بمثل هذه المسألة، لأننى لا أركز فقط على شغلى، وإنما أهتم أيضا - بمجالات عديدة، كالتاريخ والأدب والثقافة، وأشعر بسعادة بالغة حين أتواجد فى مثل هذه المحافل الثقافية، مثل: الأكاديمية البابوية Pontifical academy، أو مجمع الفلاسفة الذى أتشرف بعضويته فى أمريكا.

ولقد ألقيت محاضرة فى الفاتيكان عن ما أسميته فى هذا الحوار (اللانظام العالمى الجديد) طارحا نظرة شمولية للمشاكل التى يعانى منها العالم.

وقد كرمنى البابا بمنحى وشاح الفاتيكان.

وسوف أذهب إلى الهند فى أكتوبر المقبل، وسيمنحوننى الدكتوراه الفخرية، وسأزور مشاريع صناعة البرمجيات هناك، وسأقوم بجولة فى بنجالاور وكلكتا ونيودلهى، وسألقى محاضرة فى برنامج غاندى فى التليفزيون الهندى، وهو الذى يستضيف فى كل عام شخصية عالمية لتتحدث إلى الناس.

- ٢٠٠١ -

❑ ❑ ❑